

مدينة دلس العتيقة دراسة تاريخية وأثرية

The ancient city of Dellys, historical and archaeological study

كردين سهيلة*

جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: souhilakerdine575@gmail.com

تاريخ القبول: 2024./10./11

تاريخ الاستلام: 2022./04./06

الملخص: دلس المدينة القرطاجية التي بنيت لتكون لؤلؤة البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الثاني قبل الميلاد، أحد أقدم المرفأ التي أقامها الفينيقيون والتي وصفها الباحث فوزي سعد الله على أنها "الأندلس المنسية" و يؤكد المؤرخ الجزائري "محمد أمين بلغيث" من وصول موجة من المنفيين المسلمين من فالنسيا عبر تونس إلى تادليس أي دلس حاليا، تتحول المدينة في منتصف القرن الأول الميلادي إلى مستعمرة رومانية، ليصبح اسمها "روزوكوروس"، والتي اعتبرت أقدم مدينة بحرية، ولا تزال الكثير من شواهد الحقبة الرومانية قائمة إلى اليوم كالأسوار القديمة، ومنابع سيدي سوسان، ليسيتر بعدها الحماديون على المنطقة أين استقر فيها معز الدولة بن صمادح، بعد سيطرة المرابطين على الأندلس سنة 1088 م، وتعاقبت القبائل العربية على المدينة دلس، فكان لكل قبيلة بصمتها في المكان لتسقط بعد سبع سنوات من الحملة الاستعمارية الفرنسية في يد الفرنسيين في 1837م لتصبح لؤلؤة البحر المتوسط أسيرة الاحتلال مثلها مثل باقي المدن الإستراتيجية في الجزائر لتستقل في 1962م وتصبح فيما بعد وجهة سياحية بامتياز، يقصدها آلاف الزوار المحليين والأجانب، ليتعرفوا على سحر طبيعتها، ويشاهدون آثار الحضارات القديمة التي تعاقبت عليها عبر الزمن، ويتجولون في قصبتها العتيقة والتي تعتبر أقدم من قصبة الجزائر بمشربياتها المزينة لشرفات بيوتها

Abstract: Dellys the city of Carthaginian, which was built to be the pearl of the Mediterranean since the second century bc, one of the oldest ports established by the Phoenicians, described by the researcher fawzi saadallah as "the forgotten Andalusia" and confirms the Algerian historian "Mohamed lemen belghith" from the arrival of a wave of Muslim exiles from valencia via tunisia to tadlis which became "dellys now, the city in the middle of the first century is transformed into a roman colony, his name became "Rosokoros", which was considered the oldest maritime city, and many evidence of the era still exist today such as the ancient walls, and the sources of sidi sussan, than the Hammadids took control of the area where the moez al-dawla ibn samadh state's settled. after the Almoravids took control of Andalusia in 1088, and the arab tribes succeeded in the city of Dellys, each tribe had its mark in the place, falling seven years after the French colonial campaign in the hands of the french in 1837, Dellys become the pearl of the Mediterranean captive occupation like the rest of the strategic cities in Algeria to take over in 1962 and later become a tourist destination with distinction, intended by thousands of local and foreign visitors, to get to know free nature, and they see the traces of ancient civilizations that have followed over time, and turn in its ancient kasbah, which is considered older than the kasbah of Algeria and decorated with its drinking decorated with the balconies of its houses and neighborhoods equipped with embryos and shrines and its qur'anic schools and lighthouses, which played an important role in its maritime economy, this is why we discussed in our intervention to study the architectural history of the city so that we know this cultural heritage of missing.

Keywords: Defensive wall ,Beacon,Casbah, the Tower,Mausoleum

المقدمة :

كانت الجزائر بالنسبة للفينيقيين همزة وصل بين محطاتهم البعيدة ، المحيط الأطلسي في الجنوب وبين أسواقها للذهب والقصدير في الشمال وبين مراكز الاستهلاك وإعادة التوزيع بقرطاج، كان البحر الطريق الرئيسي للتجارة الفينيقية . لذلك بحارتهم كانوا يحتاجون إلى مراكز يستقرون فيها ولو لمدة قصيرة حتى يتزودون بالمؤونة والمياه العذبة ومع مرور الزمن أسس الفينيقيين بموافقة من البربر مرافئ لهم كل أربعين كيلومترا على طول سواحل شمال إفريقيا، (لتصبح فيما بعد محطات خاصة بالقرطاجيين) وقد استغلوا سواحل الجزائر بما فيها مدينة دلس ليكون استقرار الفينيقيين دائم في الجزائر أين أتى البحارة الفينيقيين بعائلاتهم وذلك أدى إلى تعايش حسن بينهم وبين سكان شمال إفريقيا عامة ومدينة دلس خاصة لسماحة سكانها وبشاشتهم واحتفالهم بالوافدين عليهم فبدأت محاولات التعامل الاقتصادي بين الطرفين وتوطدت العلاقات الاجتماعية والثقافية والدينية فأدى هذا التزاوج والامتزاج بين العناصر المحلية والفينيقية إلى ظهور حضارة بونيقية نتيجة التأثير والتأثر بين الثقافة المشرقية الفينيقية والثقافة المحلية الليبية، فبعدها كان البربر يعتمدون في اقتصادهم على الزراعة والرعي أصبحوا يصنعون ويتاجرون بالألبسة الحلي، الأدوات الحديدية والبرونزية، الصوف، الجلود ، الأسمك، الزيوت والحبوب، التماثيل .

بهذا يفتح البربر على العالم الخارجي ، كان الفينيقيين يختارون المناطق الساحلية العالية التي تشكل رؤوس أو جزر والتي تكون محمية من الرياح فكان اسم هذه المدن يبدأ بكلمة روس بمعنى رأس، Rus cicar سكيكدة، Rus gounia سيقا، Rusou courou دلس التي سبسلط الضوء على جمالها الساحر واستراتيجية موقعها ، هذه المدينة التي افترش ترابها انسان ما قبل التاريخ فخلف لنا آثار شاهدة على تواجده من حجارة وعظام لصناعاته اليدوية كما تعاقبت عليها العديد من الشعوب منها الفينيقية والقرطاجية والتي خلفت لنا المرافئ والأنصاب الجنائزية والنذرية وبعض التماثيل والمسكوكات اما الرومانية والوندالية والبيزنطية فقد خلفت لنا تحصيناتها للمدينة المتمثلة في الأبراج والأسوار الدفاعية وبعض الأنصاب الجنائزية والنذرية والمسكوكات المسيحيين الدوناتيين وعمروا فيها كما توافد اليها الأندلسيين الهاربين من الاحتلال والبطش الإسباني فدخلوا فيها عاداتهم وتقاليدهم وتعايشوا معهم وعلموهم عدت صناعات اشهرها تقطير ماء الزهر وتحضير اطباقهم اللذيذة وكيفية صباغة الملابس وغيرها من النشاطات كما نشروا فيها ثقافتهم الراقية في الأدب العزف والأغاني كما تعرضت مدينة دلس الى الغزو الإسباني شأنها شأن المدن الجزائرية والذي لم تنجو منه الا على يد العثمانيين الذين دخلوها وتعايشوا مع أهلها وتركوا فيها شواهد مادية تمثلت في القسبة والأضرحة والمدارس القرآنية لتسقط بعد ضعف الدولة العثمانية تحت يد المستعمر الفرنسي والتي ترك بصمته أيضا على تغير شكل طرقاتها وفصل القسبة العليا عن السفلي وغيرها من التغيرات في معالمها التاريخية ولدراسة تاريخية واثريّة لمدينة دلس علينا طرح الإشكالية التالية ماهي الأهمية الاستخراجية والتاريخية التي تتركب عليها هذه المدينة حتى تستقطب هذا الكم الهائل من الوافدين والمستعمرين لديها؟ ماهي الشواهد المادية الدالة على هذا التواجد؟ هل ترك الوافد الأجنبي بصمته على تخطيط المدينة؟ سنجيب في مقالنا هذا على جل هذه الأسئلة وذلك بالتطرق الى دراسة تاريخية ومعمارية للمدينة مع الاستدلال بشواهد مادية أثرية على هذا التواجد كما اننا سنبرز الأهمية التي يعتريه موقع مدينة دلس من حيث الاقتصاد الجزائري ولهذا النوع من المواضيع علينا اتباع المنهج التاريخي من حيث تسلسل الأحداث والمنهج الوصفي ومن حيث وصف المعالم والاستشهاد بالمخلفات الأثرية والمنهج التحليلي في تحليل نتائج الدراسة.

1. نبذة جغرافية وتاريخية عن المدينة

1.1 الموقع الجغرافي: تقع لؤلؤة البحر دلس بالمنطقة الساحلية الشمالية لولاية بومرداس وتبعد عن العاصمة بحوالي 105 كلم يحدها من الناحية الشرقية بلدية تيقزيرت الأثرية وتاقسبت وتفصل بينهما غابة ميزرانة ومن الجهة الجنوبية سلاسل جبلية وتلال جميلة خصبة ومن الجهة الغربية جبل بوبراك الذي يبلغ إرتفاعه 570م ووادي سبع أو سيباو ومن الناحية الجنوبية الشرقية غابة بوعربي وجبل الأصواف الذي يبلغ إرتفاعه 371م ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط وقد اشتهرت بمينائها المحمي من التيارات البحرية وهو يتوسط مدينتي الجزائر وبجاية. ويصب بوادي سيباو الشهير في منطقة القبائل.¹

2.1. لحة تاريخية عن مدينة دلس :

2.1 فترة ما قبل التاريخ: نظرا لما تتربع عليه مدينة دلس من موقع استراتيجي وخصوبة تربتها وقربها من مصبات الأودية جعلها مقر استقرار الإنسان البدائي الذي أنشأ فيها سكنى على ضفاف الأودية ومصباتها حيث اكتشفت بمدينة دلس مختلف الصناعات العائدة إلى عصور ما قبل التاريخ من صناعات اشولية وصناعة عاترية ، وصناعات ابيرومورية وصناعات فخارية وحلي وقد عثر في منطقة تاقدامت بدلس على فأس يدوية كبيرة ومتقنة الصنع والتي يقول عنها الباحث لابورت بأنها اكبر الفؤوس التي وجدت بالمغرب أنظر الصورة رقم 1.



صورة رقم 1 فأس يدوي (فترة ما قبل التاريخ) عن
J.-P. Laporte, ²« Dellys », *Encyclopédie berbère*

كما عثر على "كهف الزاوية" المتواجد شرق دلس وبالضبط بمنطقة ماركون بلدية اعفير بدلس والذي يحفظ لنا بفن جداري مثل ذلك الذي وجد بموقع التاسيلي ورسومات جداريه في حالة حفظ سيئة ورموز كتابية وصور لحيوانات تعود لفترة الهولوسان بألوان باهتة حمراء تميل للبنفسجي انظر الصورة رقم 2³ الى جانب بعض المقابر من نوع الدولمان⁴

¹ عامر شعباني، الأنفاس الأخيرة للأندلس الصغير دلس، دار النشر المنهل، 2013، ص 21.

² J.-P. Laporte, ²« Dellys », *Encyclopédie berbère* n°15, 1995 p 2255-2261

³ Chaïd Saoudi Yasmina & Oubraham Djouhar.- Markoun (Afir-Dellys), une paroi à peintures et gravures rupestres à inscrire au patrimoine national, Travaux Dun Colloque International Intitulé Dellys une ville des patrimoine ,association culturelle et artistique casbah de dellys sous la direction scientifique du professeur yassmina chaïd saoudi, 2/7/2017, p10

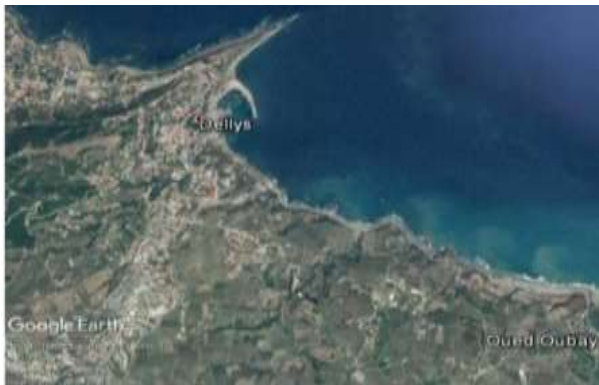
⁴ J.-P. Laporte, « Dellys », op cit . p 2



الصورة رقم 2 صور جدارية تعود الى موقع ماكرون بمدينة دلس فترة ما قبل التاريخ

عن Chaïd Saoudi Yasmina et Oubraham Djouhar

1. 3. الفترة الفينيقية: دخلت دلس في التاريخ على يد الفينيقيين، الذين أسسوا بها مرفأ لممارسة التجارة مع الأهالي، سمي ب روسوكورو Rusuccurou وقد إختلف الباحثين عن اصل التسمية فنجد الباحث مارسي يذكر بان اصلها بربري (Rous-Skkourt) وهو يعني راس الحجل لان كلمة Sekkourt تعني بالبربرية الحجلة⁵ أما الباحث نيكولاس كاغيون فيذكر بان اصلها بونيقي وقد ذكر في النصوص الإغريقية واللاتينية وقد أطلق على كل من الميناء والمنطقة التي تحاذيه، كما ذكرت في الكتاب اللاتيني⁶ le Bellum Africanum تحت إسم⁷ Oppidum Ascurum يقع ميناء مدينة دلس على بعد 100 كلم عن مدينة الجزائر وقد اختير مكانه بجدارية من قبل الفينيقيين فهو محمي من التيارات البحرية فرأس الطرف (الذي سنتكلم عنه لاحقا) يحميه من الرياح الشمالية والرياح الشمالية الغربية، والهضبة التي بنيت عليها القصبه تحميه من الرياح الغربية والمرتفعات المجاورة للقصبه والممتدة بشكل حلزوني باتجاه البحر وتحميه من الرياح الجنوبية الغربية والرياح الجنوبية⁸ أنظر الصورة رقم 3.



الصورة رقم 3 ميناء مدينة دلس صورة عبر القمر الاصطناعي قوقل ايرث

عن الباحثين:

Chaïd Saoudi Yasmina et Oubraham Djouhar.-

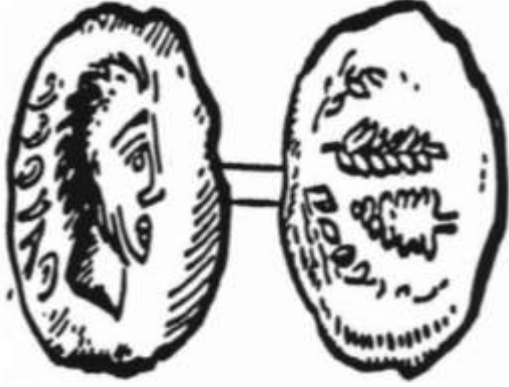
⁵ MERCIER(G), LA TOPONIMIE ANTIQUE DE L'AFRIQUE MINEURE, D'après e BCTH 1918, P110

⁶ يعود هذا الكتاب الى corpus caesianum محتوى الكتاب يتكلم حملات القيصر ضد اعدائه الجمهوريين داخل المقاطعات الإفريقية

⁷ Nicolas Carayon , Les ports phéniciens et puniques. Géomorphologie et infrastructures, these de doctorat en sciences de l'antiquite - archeologie dirigee par m. le professeur thierry petit, volumI , 2008, p185

⁸ J.-P. Laporte, OP.CIT, P2

كما حافظت المنطقة على عدد من الشواهد التاريخية التي تعود إلى هذه الفترة تمثلت في عملة من الذهب ضربت بقرطاجة تعود إلى مدينة دلس العتيقة روزوكورو والتي تحمل الحروف البونية أو الليبية-البونية لإسم المدينة SKOBB أو RSK⁹ أنظر الصورة رقم 4.



صورة رقم 4 عملة من الذهب عليها ربما الاسم القديم للمدينة روزوكورو

عن الباحث¹⁰ J.-P. Laporte

والتي تبين بأن المدينة كانت تعيش استقرارا سياسيا واقتصاديا. كما وجدت بها أنصاب جنائزية تعود إلى النصف الأول من القرن الثاني والقرن الأول قبل الميلاد تحمل نحتا للآلهة تانيت¹¹ و التي تعود للفترة النوبونيقية لان جبهاتها مثلثة وهو اقدم شكل للأنصاب عليها كتابات نوبونيقية فالنصبين الأولين يحملان رمز الآلهة تانيت وبعل حامون المتمثل في قرص الشمس والهلال وهما من أشهر معبودات الفترة البونية ونقيشة جنائزية ثالثة أخرى مهداة إلى الإله الفينيقي بعل كتبها آمة بعل أي عابدة بعل وتهدي النقيشة إلى أبيها المدفون¹² أنظر الصورة رقم 5.



الصورة رقم 5 نقيشات جنائزية نوبونيقية

نقلا عن الباحث¹ J. P Laporte

⁹ Chaid Saoudi (y), OP.CIT P 45

¹⁰ J.-P. Laporte « Dellys », op cit .P 4

¹¹ Nicolas Carayon, OP.CIT, P186.

¹² Dussaud R, inscription néo punique trouvée à Dellys. Bulletin archéologique 1917, p430.

1. 4 الفترة الرومانية : في هذه الفترة أصبحت مدينة دلس مستعمرة رومانية وألحقت بمملكة موريطانيا القيصرية. وفي عام 44م عهد الإمبراطور كلوديوس يذكر المؤرخ بلينوس وهو يدرج قائمة المستعمرات التي تأهلت الى مرتبة البلديات بأن روزوكورو حظيت بهذه المرتبة حسب الكتابة اللاتينية: *Rusuccurum Civitae Honoratum A Claudio* كما يشرح لنا الباحث لا بورت بان روما كانت تكرم المستعمرات التي كانت تحت سياستها وتدعمها في حروبها فتمنحهم هذه المرتبة هو الحال بالنسبة لروزوكوروس والتي منح لسكانها الحرية في تقرير نظامها الداخلي بدون أي ضغوطات من الإمبراطورية الرومانية¹³ هذا الاستقرار جاء أيضا للتحصينات المتينة التي انشأتها الإمبراطورية الرومانية حول المدينة آنذاك من اسوار دفاعية تدور حول كل المدينة وأبراج متينة حسب الشواهد المادية التي حاليا إندثر منها الجزء الكبير واعيد بناءها على انقاض ما خلفه الوجود الروماني والبيزنطي في المنطقة انظر الصورة رقم 6 و 7



الصورة رقم 6 و 7 جزء من السور الدفاعي الذي يدور على مدينة دلس وبقايا أحد أبراجه (عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس 2007)

والذي يذكر عنه الرحالة الذين زاروا المنطقة بأنه بني فوق أنقاض السور القديم أي قبل الوجود الروماني كان دور هذه الأسوار تحصين المدينة وهو يفتح على عدت أبواب حيث يشير "الدكتور شاو" إلى بعض بقاياها الموجودة في الجهات الغربية والجنوبية الشرقية بقوله "... في الجهة الغربية يوجد جزء من السور القديم.... يوجد الساحل في الجهة الجنوبية الشرقية به بقايا لسور عريض يحتمل انه كان قديما ممتدا إلى البحر ويشكل حاجزا"¹⁴، وهو يفتح على ثلاثة أبواب باب البحر أنظر الصورة رقم 8 في الجهة الشرقية¹⁵ وباب الأجنة (البساتين) وباب الجياد في الجهة الجنوبية.

¹³ J .P,Laporte,Le Statue Municipale De Rusuccuru, Africa Romana,1992,PP 422-424

¹⁴SHAW,D,Voyage dans la régence d'Alger, 2^{ème} édition, édition Bouslma ,Tunis ,1980,p60

¹⁵Robin ,N, Note sur l'Organisation Militaire et Administrative des Turcs dans la Grande Kabylie » in REV .afr,N17 ,Paris,1873,p245 .



الصورة رقم 8 اين تظهر الباب وجزء من سورها الدفاعي
عن ¹⁶Delamare

كما خلفوا لنا شواهد أخرى تمثلت في فرن مصنوع من الآجور الأحمر يعود الى حمام روماني لمزل احد الأغنياء الرومان وقد عثر عليه سنة 2007 بعد وقوع إنزلاقات في في التربة أدت الى ظهوره فقامت مديرية الثقافة لولاية بومرداس بجرده ضمن الممتلكات الثقافية الخاصة بالمنطقة ¹⁷
انظر الصور 9-10



الصورة رقم 9 و10 بقايا لفرن حمام روماني عثر عليه بمدينة دلس
عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس 2006

كما وجد بالمنطقة أنصاب جنائزية ونذرية تحمل نحت لعائلة بأكملها الأب والام في النصب الأول وهما متشادان وهما على عتبة المعبد المزين في طرفيه بعمودان كورنثيان يحمل احدهم هدية للإله فهو نصب نذري أما الأبناء في النصب الثاني فهم يجتمعون كلهم داخل مشكاة ويقفون كل بوضعيته اما عن اللباس فكلهم يلبسون الزي الروماني التوجا ذو القماش الرقيق والطويل المصفف والذي يحمل طرفه باليد ونوع لم يلبسه الا الأغنياء كما يحمل النصب الثاني مكان للنقيشة في الأسفل دليل على ان النصب جنائزي أنظر الصورة رقم 11 و12

¹⁶Delamare, adolphe H.a.: Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, 1843, 1844 et 1845 : Archéologie. impr. nationale. Paris, 1850. planche 1

¹⁷ عن عملية الجرد للممتلكات الثقافية لمديرية الثقافة لولاية بومرداس من أجل إدراجها في القائمة الجرد الإضافي، لسنة 2008-2009 (والتي عملت فيها كملحق بالحفظ)



الصورة رقم و11-12 نصبان يعودان للفترة رومانية عن
Delamare¹⁸

كما عرف عن المنطقة انها كانت ملجأ للمسيحيين الدوناتيين¹⁹ الذين عمروا فيها وتركولنا العديد من الشواهد المادية مثل التابوت نحتت عليه المعجزات السبعة للمسيح عيسى عليه السلام انظر الصورة رقم 13 والمصابيح الزيتية انظر الصورة رقم 14 عليها رمز الصليب والحرف اللاتيني P والتي تعتبر رموز الديانة المسيحية ، مروراً ببقايا قليلة من النقوشات اللاتينية .



الصورة رقم 13 تابوت مسيحي عليه نحت للمعجزات
السبعة للمسيح عيسى عليه السلام
المتحف الوطني العمومي للآثار القديمة



الصورة رقم 14 مصباح زيتي يعود الى الفترة المسيحية رمز الصليب وحرف P
هي من رموز الديانة المسيحية (عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس)

5.1 الفترة الإسلامية : في القرن السابع عند دخول الإسلام الى منطقة المغرب تجاوبت معه القبائل المتواجدة به لما وجدت فيه من روح السباحة والإيمان والطهارة وفصاحة اللسان والأدب وبعد حكم الأغالبة في القيروان بين 800 م و910م، ظهرت في المغرب الأوسط المملكة الزييرية التي ضمت كل من ميناء الجزائر ودلس اليها واتخذت أشير عاصمة لها (وهي منطقة بولاية المدية حاليا)²⁰، ثم لم تلبث أن دخلت المدينة في موجة

¹⁸ AD.H.Delamare,op/cit ,PLANCHE N°1.

¹⁹ J .P,Laporte,Encyclopedie,P.4

²⁰ SAOUDI-CHAID(Y), OP. CIT, P70.

الصراعات السياسية والمذهبية التي انتهت باستقرار المدينة تحت النفوذ الفاطمي، وبعدها الحمادي (1014-1153م) في هذه الفترة تم تأسيس مدينة دلس كإمارة إسلامية أندلسية على يد حاكم (الأندلس) معز الدولة بن صمادح الذي فر أمام المرابطين لما ملكوا الأندلس، لتصبح المدينة بوابة للهجرات الأندلسية خاصة بعد سقوط غرناطة 1492م

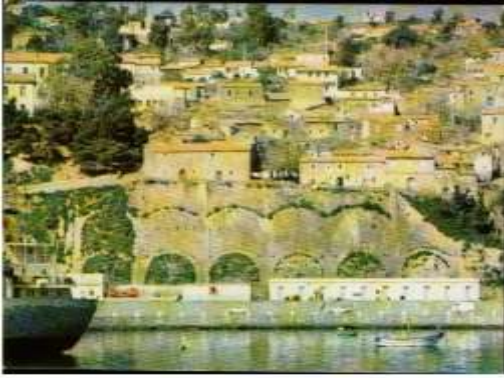
1.5.1 الفترة الموحدية (1179-1269م): في هذه الفترة أصبحت المدينة من ضمن ممتلكات الدولة الموحدية ثم تحولت خلال منتصف القرن (13م) بين مد وجزر تتنافسها الدويلات التي ظهرت على أعقاب الدولة الموحدية و هي : (الدولة الحفصية ، المرينية ، الزيانية)²¹ بالإضافة إلى هذا تعرضت المدينة للعدوان الاسباني سنة 1400 م. بعدها أصبحت المدينة تابعة لمملكة الثغالبية وذلك بعد طرد الحامية الإسبانية منها، فكانت سيطرتهم على مدينتي الجزائر وتادلس. و مع مطلع القرن 16م استطاع الأسبان أن يسيطروا على المدينة من جديد و ذلك بعد استيلائهم على المرسى الكبير وبجاية وحصن الجزائر سنة 1510م بعدها تحل الفترة العثمانية(1517-1844) فيها استطاع القائدين التركيين بابا عروج وخير الدين بربروس من استرجاع المدينة من يد الأسبان سنة 1517م بعد استرجاعهم مدينة بجاية والمرسى الكبير ومدينة وهران، وبعد التقسيم الإداري لإيالة الجزائر إلى مقاطعة شرقية ومقاطعة غربية أصبحت مدينة تادلس المقر الإداري للمقاطعة الشرقية ومدينة الجزائر المقر الإداري للمقاطعة الغربية. ثم أعيد التقسيم الإداري لإيالة الجزائر في عهد حسن باشا بن خير الدين باشا إلى أربع بيالك (مقاطعات) وهي: دار السلطان (عاصمته مدينة الجزائر)، بايلك الشرق (قسنطينة) بايلك الغرب (وهران)، بايلك التيطري (المدية)، خلالها أصبحت المدينة تابعة لمقاطعة دار السلطان. و قد شهدت المدينة في هذه الفترة استقرارا سياسيا كان من نتائجه التوسع العمراني للمدينة خصوصا بالقسم العلوي من القصبة.²² إلا انها تخضع في منتصف القرن 19م، للاحتلال الفرنسي أثناء حملة المارشال بيجو على قبيلة فليسة سنة 1844م.

2.5.1 آثار الفترة الإسلامية بمدينة دلس: تعاقب الممالك والأحداث التاريخية على المنطقة تادلس خلف لنا اثار وعمائر هامة تمثلت فيما يلي :

1 / العمارة المدنية

3.5.1 قصبة دلس العتيقة: وهي نواة المدينة العتيقة دلس أنظر الصورة رقم 13 شيدها العثمانيين بدورها الجميلة، وأزقتها الضيقة، وقد بنيت على انقاض المدينة الرومانية كانت إمارة إسلامية أندلسية في الفترة الحمادية في القرن 12 م لتصبح في القرن 16م قلعة واحدة إلى مجيء الاستعمار الفرنسي الذي انشأ فيها الطريق الوطني 24 أين فصل بين **القصبة السفلى والعليا** يذكر انها كانت ملجأ لمسلمي الأندلس الذين باستقرارهم فيها أدوا دورا رائدا في ترقيتها بما حملوه من رصيد حضاري إسلامي ثري، كالعلم والعمارة والصناعات التقليدية المختلفة، ونشروا اللسان العربي بين السكان الأمازيغ حيث نجد فيها معالم تاريخية عدت تمثلت فيما يلي.

²¹إ، بن نعمان ، مدينة دلس (تدلس) ،دراسة تاريخية و أثرية خلال العهد العثماني ، دار الامل ، 2011، ص31.



الصورة رقم 13 قصبة دلس العتيقة
صورة مأخوذة عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس سنة 2007

4.5.1.1 منازل القصبة : تتسم منازل القصبة بالبساطة في مظهرها الداخلي والخارجي فمن الخارج جدرانها شبه صماء ماعدا وجود عدد من النوافذ الضيقة والفتحات الصغيرة وبعض المشربيات المرتكزة على جذوع شجر الزيتون التي يقدر ارتفاعه ب 3م وهي بمثابة الشرفة إلا أنها مغطاة إلا جزؤها العلوي والمزين بزخارف جميلة غرضها التهوية وإدخال النور إلى وسط الدار أو الغرفة كما نجد الباب الرئيسي المسمى بباب الدار حتى يميز عن باقي الأبواب وهو ذو شكل مستطيل أو متوج بقوس خشبي زين بزخارف هندسية، الباب مصنوع من الخشب ويفتح بقل غليظ²³ متين يبلغ ارتفاع الباب عموما 1,55م وعرضه 1,10م، أنظر الصورة رقم 14 و15 و16.



الصور 14 و15 و16 تعود إلى مختلف الواجهات الخارجية للمنزل في القصبة

عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس

أول ما تستقبلنا هي السقيفة التي تسمى أيضا "صتوان" وهي مكان يستقبل فيه الضيوف يصل طولها إلى 4,95م و عرضها 3,87م وتحتوي على مقاعد حجرية تستعمل للاستراحة ولاجتماع الأصدقاء وعندما نتقدم نجد الحوش أو صحن المنزل شكله مربع تحيط به الغرف والأروقة وتتوزع هذه الغرف على طابقين الطابق الأرضي والطابق العلوي عادة ما يكون هناك سلمين في الناحية الشرقية، أحدهما يضيء إلى رواق الطابق العلوي للجهة

²³ CHERIGUEN , F , TOPONYMIE ALGERIENNE DES LIEUX HABITES (LES NOMS COMPOSES) EPIGRAPHIE
EDIT , ALGER , 1993 , P40 .

الجنوبية والآخر يؤدي إلى رواق الطابق العلوي للجهة الشمالية من المسكن كانت مصنوعة من الحجر اما أرضية المساكن كانت مصنوعة من الأجر الأحمر أما السقف فصنع من أغصان الزيتون المظفور²⁴ أنظر الصورة رقم 17 و18 و19



الصورة رقم 17 و18 و19 الواجهة الداخلية لمنزل لقصة دلس ذو طابقين بلاطه من الآجور وسقفه من اغصان الزيتون المظفور
صورة مأخوذة من مديرية الثقافة لولاية بومرداس

6.1 العمارة الدينية

كانت الأضرحة والمدارس القرآنية بمدينة دلس العتيقة أحد الأقطاب الناصحة ومدارس لتعليم القرآن وقد لعبت دورا هاما في حفظ الهوية الوطنية لتعليم اللغة العربية من خلال قراءة القرآن الكريم وكذا الحفاظ على الشخصية الجزائرية في الفترة الاستعمارية من بينها :

1.6.1 ضريح سيدي الحرفي : يذكر بأن المكان الأصلي للضريح سيدي الحرفي كان بالقصة العليا ذلك أن الفرنسيون هم الذين نقلوه إلى القصة السفلى اثر أعمالهم المنجزة عام 1844 لتوسيع الطريق الوطني رقم 24 والذي كان يحاذي الضريح²⁵، كما نضيف عن الذاكرة الذهنية لأحد السكان القدماء لمدينة دلس أن القبر قد نقل إلى مكانه الحالي أين تواجدت مدرسة قرآنية بمعنى أن القبر هو أقدم من المبنى الموجود فيه حاليا والخاص بضريح سيدي الحرفي.²⁶ أما عن شخصية ونسب هذا الولي الصالح فليس لدينا أية معلومات تفيدنا لإدراج سيرته الذاتية فكل ما وجد في الأرشيف الوطني

2.6.1 الوصف الداخلي للضريح :

نلج إلى داخل الضريح عبر دهليز ضيق في الناحية اليمنى منه نجد بيت الوضوء المزود بمرحاضين ومغسل وبئر أما من الناحية اليسرى ففي الطابق التحت أرضي نجد غرفة واسعة نصل إليها عبر دهليز آخر، في وسط هذه الأخيرة نجد عمود مزين بتاج كورنتي كما نجد في الزاوية اليسرى، تابوت الولي الصالح سيدي الحرفي المنجز من الخشب الملون بالأحمر والأخضر (أنظر الصورة رقم 5) يقابل هذا الأخير الحراب المزين ببلاطات خزفية، أما عن الطابق الأول فنصل إليه عبر درج خشبي وهو مكان السدة التي تحمل في وسطها درابيز وتطل على القاعة السفلى (أنظر الصورة رقم 20)²⁷.

²⁴إ، بن نعمان، المرجع السابق ص، 69-139.

²⁵SaoudiChaid (y),op .cit , pp.102.

²⁶D'après,Bennamen qui tient cette information de Amar ben saber le propriétaire de la medersa.



الصورة رقم 20 ضريح سيدي الحرفي من الداخل

نقلا عن الباحثة saoudi-chaid

مخطوط يذكر اسم الحاج العلامة علي الحرفي³ وليس محمد الحرفي وهنا لم تتمكن من معرفة هل كان هذا الاسم يعود إلى شخصية واحدة أو أن الاسم الأول حرف أو أن الشخصيتين مختلفتان.....؟ كما تضيف الباحثة الدكتورة شايد في كتابها أنه ربما يكون سيدي الحرفي قاضي حنفي؟ لم تكن شخصية هذا الولي الصالح وحدها محل الالتباس لدينا، إنما التاريخ 1313 المشار إليه في النقيشة الموجودة فوق باب المدخل الرئيسي للضريح (أنظر الصورة رقم 21) كان هو الآخر مصدر إشكالية، فلو افترضنا أن هذا التاريخ هجري كما هو معتاد على الناقشات الجنائزية الإسلامية فإنه يوافق السنة الميلادية (1895-1896 م) غير أنها لا يمكن أن نعتبرها سنة تأسيس هذا الضريح لأنه موجود في المخطط الذي يعود إلى سنة 1845 أي أقدم بكثير من هذا التاريخ وهنا تفترض الباحثة شايد في كتابها أن سنة تأسيسه ربما تكون 1313 ميلادية أي أن تأسيس هذا الضريح يأتي بعد ضريح سيدي موسى الذي وجد بالقصبة العليا في فترة العصور الوسطى وتبقى هذه فرضية.²⁸



الصورة رقم 21 نقيشة تحمل اسم سيدي الحرفي

مضمون النقيشة: هذا مقام الولي الصالح والقطب الناصح محمد

سيدي الحرفي ذكرنا الله بغايته 1313²⁹

²⁸Archives Nationales, Ahkam Chariaa. , Boite 126/127, N°107/32, Année1234/1819.

²⁹كردين سهيلة، المرجع السابق، ص 222

1.3.6.1 الجامع الكبير: تحتوي المدينة على مسجد جامع واحد ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة يقول الجنرال بوجو " عنه بان المسجد الجامع في مذكراته "عند الدخول من الجهة الشرقية نجد على اليمين المسجد مبنى واسع قليلا يتركب من ثماني بلاطات والأقواس تحمل سقف من القش يعلو قرميد احمر اللون، منارته مشكلة بالحجارة المنحوتة والمأخوذة من البقايا الرومانية وهي الأخرى مهددة بالسقوط، "و هو الوصف الذي شمل المسجد قبل تدميره من قبل المستعمر الفرنسي وبناء منشآت عسكرية في مكانه ومحيطه سنة 1847م وبلاستعانة بالشكل الذي أنجز سنة 1844 يمكن القول أن سقف المسجد السني المتوج بالقرميد كان مقسما إلى قسمين أو ثلاثة أقسام لان عرضه كان أكبر من أن يشمل سقف سني ذو قسم واحد أما المنارة فهي مربعة الشكل، وتتماثل في منظرها العام مع المنارة التي مازالت في المسجد الذي أنجز سنة 1847 وشكلها المربع يجعلها تماثل معظم المنارات التي دأب سكان المغرب الإسلامي على إنجازها منذ ظهور مئذنة جامع القيروان في تونس³⁰ أنظر الصورة رقم 22.



الصورة 22 المسجد الجامع نقلا عن الباحثة

saoudi-chaid

7.1.1 العمارة الاقتصادية:

1.7.1.1 منارات دلس العتيقة: يذكر الباحث كزافيي كازانوف بأن مدينة دلس مدينة بحرية وان تطورها كان عبر البحر وذلك منذ إستقرار الفنيقيين فيه الى يومنا هذا³¹ بمعنى ان البحر كان القلب النابض للمدينة هذا ما جعل سكانها يولون أهمية كبيرة لمناراتها التي كانت المرشد الوحيد لهم لحراسة مينائها من جهة من الخطر الخارجي أو لحراسة سفنها التجارية في البحر و قد عرفت المدينة دلس ثلاث رؤوس بحرية كانت في الماضي إستراتيجية هامة جدا لمراقبة شاطئها الشرقي والغربي وما بينهما وكانت المرشد الوحيد للسفن التجارية القادمة من كل الأنحاء إلى مينائها من خلال أضوائها المنيرة لعرض البحر و هي كالتالي :

2.7.1.1 منارة دماغ سيدي المجني: تقع المنارة أسفل القصبة السفلى قرية من حي الميزاب أو الحي الأوروبي وهي تتكئ على الجدار الغربي للقصبة شكلها دائري ويبلغ قطرها 3,20 م ارتفاعها 3م تصل إليها عبر طريق شديد الانحدار يحيط بها سلم خارجي حلزوني يلتف حول جسمها عكس اتجاه عقارب الساعة ليوصلنا إلى قمته وتعود فكرة إسناد المنارة إلى سلم حلزوني يدور حول المنارة إلى الشعوب القديمة البابلية والآشورية والموجودة بزقوراتها كما تبنى الفكرة من بعدهم المهندسين المسلمين وهذا ما نلاحظه بمسجد سمراء، وجود هذا النوع من السالم الخارجية ليس بغريب بمنطقة دلس التي أنشأ مرفأها الفنيقيين الذين احتكوا كثيرا بالبابليين والآشوريين أنظر الصورة رقم 23.

¹ ابن نعمان، المرجع السابق، ص 108.

³¹ Xavier Casanova, manuel pour la réhabilitations de la ville de Dellys -2010



الصورة رقم 23 منارة سيدي المجني نقلا عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس

1.8.1 الفترة الاستعمارية:

شهدت هذه الفترة عدت تحديثات في مخطط مدينة دلس من قبل الفرنسيين من بينها إعادة تهيئة شوارعها وتوسيعها من بينها الطريق الوطني رقم 24 والذي قام بفصل القصبة العليا عن السفلى كما قاموا ببناء المنشآت الإدارية والمستشفى العسكري دون ان ننسى بنائهم لمنارات المنطقة منها منارة بن غوث ومنارة سيدي عبد القادر³².

1.8.1 منارة سيدي عبد القادر: سميت كذلك لأنها شيدت على رأس جبل سيدي عبد القادر وسميت بالميناء القديم ورأس الجبانة ورأس الطرف وهي تسميات أطلقها عليها سكان المنطقة، يحدها من الشمال الشرقي والغربي البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب المقبرة المسيحية، نصل إلى المنارة عن طريق سلم ينطلق من الميناء ويمر عبر المقبرة المسيحية أنظر الصورة رقم 24، شيدت المنارة في الفترة الاستعمارية عام 1947م عبر تحت منارة سيدي عبد القادر القطار منذ الفترة الاستعمارية أنظر الصورة رقم 18 إلا انه في الوقت الحالي لم يعد في الخدمة، تميز الطريق إلى المنارة بطوله وتعرجه وامتداده داخل البحر ليشكل حاجزا للأمواج البحر وللرياح القادمة من الغرب وتميز بوجود صخور تحته تزيد من امتداده في البحر وهذا ما ضاعف الحماية للسفن .



الصورة رقم 24 منارة سيدي عبد القادر نقلا عن عامر شعباني

³² Halles Fatima et Laroum Sarah, les phares de Dellys, pour la requalification d'un patrimoine maritime, mémoire de master en architecture (architecture, ville et patrimoine), 2016-2017, p33.



الصورة رقم 25 نفق القطار المار
تحت منارة سيدي عبد القادر نقلا عن عامر شعباني

منارة بن غوث: بنيت على النمط الأندلسي للوهلة الأولى تظهر وكأنها صومعة لجامع إلا أنها منارة سميت "برج لفنار" أو منارة بن غوث هناك من يقول ان إسمها نسبة لمصممها بن غوث الذي شيدها في الفترة الاستعمارية الفرنسية وهناك من يقول بان الاسم أطلقه البحارة الإيطاليين **Benganeto** وهي تعني كل الأراضي المرتفعة الموجودة بين مدينتي دلس وجناد ظلت المنارة مدة قرن تهدي السفن القادمة من كل الجهات إلى ميناء مدينة دلس كان ضوءها قوي ويصل إلى بعد خمسة وتسعين كيلومترا عرض البحر وهي مكونة من قاعدة وطابقين زين المبنى من الداخل بمادة الرخام وجدرانه بمادة الأونيكس وهي مادة من شقائق الرخام. أنظر الصورة رقم 19³³



الصورة رقم 26 منارة بن غوث عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس

الخاتمة:

في الأخير نستنتج بان عمران مدينة دلس تمركز في قصبتها العتيقة التي هي نواة المدينة وكان اختيار ذلك موقفا في بعض الشروط وحاد عن بعضها مما صعب من استقرار الحياة بداخلها كما يقول الدكتور بن نعمان إسماعيل أما عن الموفق فتمثل في مناخها المعتدل بفعل تأثره بمناخ البحر الأبيض المتوسط وهو يعتبر أفضل مناخ يعيشه الاستقرار البشري وفي وفرة المياه بتوفر الآبار والعيون الطبيعية المنتشرة هنا وهناك في القصبة وخارجها أما الشروط التي لم تكن موفقة فيها فتمثلت في تحصينها الطبيعي الذي توجد فيه الكثير من العوائق بداية من الجهة المطلة على البحر والمفتوحة تماما على الأخطار القادمة من البحر أما الجهات الأخرى فهي جبلية وتوفر حماية ناقصة وهو ما يفسر سبب إحاطتها بسور من هذه الجهات لكنه لم يؤدي مهمته في بعض الفترات التاريخية بسبب اندثاره بمرور الزمن وعدم إعطائه العناية الكافية في الترميم والتجديد عبر العصور هذا عن توضع العمران في مدينة دلس أما عن نمطه فقد جمع بين الطابعين الحضري والريفي ومعظم منشآته تتلاءم مع التقاليد والأعراف السائدة لدى سكانها المنحدرين في معظمهم من القرى المجاورة لها وقد تنوعت منشآتها من دفاعية ومدنية ودينية واقتصادية سمحت لان تكون لهذه المدينة دورا

سياسيا واقتصاديا هاما في مراحلها التاريخية هذا ما جعل الوافدين و المستعمرين يتكالبون عليها الدول من دول أوروبية وكذا دول المغرب الإسلامي وملكيتهما اين كانت تنتقل من دولة إلى أخرى في مدة زمنية قصيرة لأهمية موقعها الإستراتيجي وزادت مكانتها خاصة في العهد العثماني أين احتضنت مقر المقاطعة الشرقية بقيادة خير الدين بربروس ،اما عن الشواهد التي إعتمدنا عليها فقد مكنتنا من التأكيد بالوجود الأجنبي في المدينة و تاتييه في ملامح عمارتها كما ان هذا الأخير غير تخطيط المدينة في زيادة معالمها وانشاء طرقات على حساب بعض منشآتها مثل الطريق الوطني 24 الذي قسم بين القصبة العليا والسفلى التي هدمت وغلق بعض الطرقات مثل الطرق الجبلية فيها مثل طريق سيدي عبد القادر وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في مقالنا هذا في إعطاء لمدينة دلس حقها في سرد حكايتها عبر العصور وأجبننا على إشكالية الموضوع وعرفنا القارئ على احد المدن الأكثر استقطابا للأندلسيين وأنا قد سلطنا الضوء على مدينة نسبت رغم مكانتها التاريخية، الاقتصادية، الثقافية والأثرية .

المصادر و المراجع

- 1- عامر شعباني، الأنفاس الأخيرة للأندلس الصغير دلس، دار النشر المنهل، 2013.
- 2-إسماعيل ،بن نعمان ، مدينة دلس (تدلس) ،دراسة تاريخية و أثرية خلال العهد العثماني ، دار الامل، 2011،
- 3- كردين سهيلة،ضريح سيدي الحرفي لمدينة دلس،دراسة وصفية تحليلية المجلد 13،العدد2، 2015
- 4-Archives Nationales, Ahkam Chariaa. , Boite 126/127, N°107/32, Année 1234/1819
- 5- Cheriguen, F,Toponymie Algerienne Des Lieux Habites(Les Noms composes)Epigraphe Edit ,Alger ,1993
- 6-Christian, P, souvenirs du maréchal bugeaud de l'Algérie et du Maroc, tome 1 ,paris, Alexandre Gadot ,1845
- 7-Delamare, adolphe H.a.: Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, 1843, 1844 et 1845 : Archéologie. impr. nationale. Paris, 1850
- 8-Dussaud R, inscription néo punique trouvée à Dellys. Bulletin archéologique 1917.
- 9-Gsell,st ,Atlas archéologique de l'Algérie Feuille6 , 1911 .
- 10-Halles Fatima et Laroum Sarah, les phares de Dellys, pour la requalification d'un patrimoine maritime, mémoire de master en architecture (architecture, ville et patrimoine),2016-2017 .
- 11-Mercier(G),La Toponymie Antique De L'Afrique Mineure,d'après le CTH1918
- 12- Nicolas Carayon , Les ports phéniciens et puniques. Géomorphologie et infrastructures, these de doctorat en sciences de l'antiquite - archeologie dirigee par m. le professeur thierry petit,volumI ,2008

13-saoudi-chaid(Y) ,Dellys aux mille temps, édition du tell,2008,Dussaud R, inscription néo punique trouvée à Dellys.Bulltin archeologique1917.

14-Shaw,D,Voyage dans la régence d'Alger, 2^{ème} édition, édition Bouslma ,Tunis ,1980,

15-Robin, N, Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie » in REV.afr,N17 ,Paris,1873.

16-Xavier Casanova, manuel pour la réhabilitation de la ville de Dellys -2010